BITARA
Volume 2, Issue 4, 2019: 043-054
© The Author(s) 2019
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com

أثر تعدد القراءات القرآنية في ظاهرة الرسم العثماني

[The Effect of Multiple Quranic Readings on The Phenomenon of Rasm al-Uthmani]

Almki Rmdan Ahmed Alwheshi & Nor Hafizi Yusof[1]

الملخص

تناول هذا البحث موضوعين من موضوعات علوم القرآن، وهو علم القراءات وعلم الرسم المصحف، بهدف الوصول لبيان الصلة بين هذين العلمين وأثر كل منهما على الآخر، وتوضيح أن رسم الكلمة يختلف باختلاف القراءات وتنوعها، ثم شرع الباحثان الحديث عن الرسم من حيث تعريفه، وأنواعه، وآراء العلماء فيه وحكم التزامه، وفوائده ومزاياه، وذكر التحسينات التي طرأت عليه، ثم البدء في صلب البحث واستعرض الأمثلة والنماذج لبعض الآيات القرآنية التي اختلف بعض القراء في قراءة بعض ألفاظها، ثم نسب الباحثان كل قراءة لمن قرأ بها من القراء العشرة، مع توجيه لبعض القراءات والأمثلة التي استعان بها الباحثان، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة والتوجيه والتفسير وغيرها، ثم ذكر الباحثان أثر اختلاف القراء في تحديد كيفية رسم الكلمة القرآنية، وختم الباحثان بخاتمة ذكر فيها ما توصل إليه في هذا البحث.

مفاتيح البحث: تعدد القراءات القرآنية، الرسم العثماني

Abstract:
This research dealt with two subjects of the sciences of the Qur'an, which is the science of readings and the science of drawing the Qur'an, with the aim of reaching a statement of the connection between these two sciences and the impact of each on the other, and clarifying that the drawing of the word differs according to the different readings and their diversity. And the opinions of scholars about it and the ruling on its adherence, its benefits and advantages, and the mention of the improvements that occurred to it, Then start at the core of the research and review the examples and examples of some Quranic verses that some readers differed in reading some of their words, then the researchers attributed each reading to whoever read it from the ten readers, with guidance for some of the readings and examples that the researchers used, by referring to the books of language, guidance, interpretation and others. Then the two researchers mentioned the impact of the difference between the readers in determining how to draw the Qur'anic word, and the researchers concluded with a conclusion in which he mentioned what he had reached in this research.

Keywords: Multiple Quranic Readings, Rasm al-Uthmani

Cite This Article:
Almki Rmdan Ahmed Alwheshi & Nor Hafizi Yusof. 2019. Athar Ta'adud al-Qira'at al-Qur'aniyyah fi zahirah al-Rasm al-'Uthmani [The Effect of Multiple Quranic Readings on The Phenomenon of Rasm al-Uthmani]. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 2(3): 124-138.

[1] Universiti Sultan Zainal Abidin, Terengganu, Malaysia.

Coressponding Author:
Nor Hafizi Yusof, Universiti Sultan Zainal Abidin, Terengganu, Malaysia.
Email: nhafizi@unisza.edu.my

المقدمة

فالقرآن أصل العلوم ومنبتها، وهو من أفضل ما صرف فيه العبد وقته وأمضى فيه حياته، لأن العبد يزداد بتلاوته تجمُّلا و لربه تقربًا، وهو كلام الله المنزل على خير المرسلين صلى الله عليه وسلم، وتعهد الله حفظه بنفسه حيث قال عز وجل: (إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون) الحجر 9، من هنا تبرز أهميته وضرورة تعلّمه وتعليمه وتعلُّم علومه لفائدتها في توضيح ما أشكل فهمه، وما أبهم معناه، ومن النعم التي منّ الله بها على أمته هي تعدد القراءات لما فيها من التيسير على الأمة و تعظيم أجرها في بيان ما اختلف فيه المفسرون من بيان معاني بعض ما أُشكل، لأن النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه كانوا أصحاب لغة و فصاحة وبلاغة، فلم يكن صلى الله عليه وسلم قد فسّر القرآن كله، إذ أنه فسر ما أشكل على بعض الصحابة، ولكن بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد صحابته رضوان الله عليهم بدأت تكثر الإشكالات في توضيح بعض الألفاظ وبيان أثرها في رسم المصحف العثماني، فالقراءات القرآنية مصدر من مصادر إعجاز القرآن الكريم، ورحمة من رحمات الله تعالى بهذه الأمة، وفوائد تعددها كثيرة ومتنوعة، وذلك إما في القراءة أو في الأداء أو في التفسير والأحكام، وأثر القراءات في التفسير جليّ وواضح، لما لها من الآثار الكثيرة في مجالات العلوم المتنوعة، كالنحو والإعراب والبلاغة والبيان والفقه والتشريع والوقف والابتداء وغيرها، وسيبيّن الباحثان في هذا البحث أثر القراءات في رسم المصحف ورسمه بالرجوع إلى المصادر الرئيسة، ومن ثَمّ سيذكر الباحثان بعض الأمثلة التي بها يتضح الموضوع ويكون جليًّا، وستكون هذه الأمثلة في الكلمات الواضحة لكل قارئ، والتي هي معروفة ويكثر السؤال عنها، كرسم بعض الكلمات بزيادة ألف أو بإثباتها أو حذفها، أو رسم الكلمات منفردة عن باقي أخواتها وذلك برسمها بصيغة المفرد وأخواتها بصيغة الجمع، وسيقتصر الباحثان على بيان الكلمات التي قُرئت بزيادة حرف أو بحذفه، أو بإثبات ألف أو بحذفه، ولن يتطرق الباحثان إلى قضايا الرسم الأخرى والتي تُركت من أجل الاختصار والاقتصار على مسألة معيّنة من باب التوضيح والبيان، تجنّبًا للإطالة والتكرار الغير مفيد، وسيشرع الباحثان في تقسيم البحث إلى مطلبين كل مطلب يحوي مجموعة من الفروع والموضوعات سيذكرها الباحثان تِباعًا:

المبحث الأول: الرسم العثماني

لا شك أن الناظر في كتاب الله سبحانه يدرك أن القرآن العظيم كُتِبَ بكيفية وطريقة تختلف عن الكتابة الإملائية المعروفة لدينا اليوم، فكانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل إلى أن تطرّق الفساد والعجم إلى اللسان العربي؛ مما دفع ولاة الأمور إلى الأمر بنقط القرآن وشكله حفاظاً على القرآن الكريم من أن يُلحن في قراءته.

المطلب الأول: تعريف الرسم لغة واصطلاحاً

الرسم في اللغة: الأثر، والمراد هنا مرسوم القرآن الكريم، أي حروفه المرسومة، ويرادفه الخط والكتابة والزبر والسطر والرقم والرشم (البستاني، د ت، 265).

والرسم أنواعه ثلاثة: قياسي وعروضي واصطلاحي، وهو الرسم العثماني.

أولًا: الرسم القياسي فهو تصوير اللفظ بحروف هجائية غير أسماء الحروف مع تقدير الابتداء والوقف (السيوطي، 2/305-306).

ثانيًا: الرسم العروضي هو تصوير اللفظ بالحركات والسكنات كما هو عند العروضيين لوزن الأبيات ونظمها ونسبتها إلى بحورها.

ثالثًا: الرسم العثماني: هو علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي (نداوي، 1410هـ، 9).

وواضع علم الرسم على الراجح الصحابة الكرام رضي الله عنهم لحكم وأسرار تشهد لهم بالفضل، وقيل هو توقيفي.

المطلب الثاني: آراء العلماء في رسم المصحف والتزامه

ذهب فريق من العلماء إلى أن رسم المصحف توقيفيّ، واستدلوا على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كُتَّاب من الصحابة يكتبون الوحي فور نزوله، وقد كتبوا القرآن بهذا الرسم، وأقرّهم النبي صلى الله عليه وسلم على كتابتهم، ثم مضى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الهيئة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل، حتى جاء عهد أبو بكر رضي الله عنه، فكتب القرآن بهذا الرسم في صحف، ثم حذا حذْوه سيدنا عثمان رضي الله عنه في خلافته، فاستنسخ تلك الصحف في مصاحف على تلك الهيئة، فأقرها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأقروا

عمل أبو بكر وعثمان رضي الله عنهم، وبذلك يُوقف عند إجماع من الصحابة على ذلك، فلقد أجمعت الأمة عليه بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين، فوجب الالتزام به وعدم مخالفته.

وقد روى ابن المبارك عن شيخه الدباغ في كتابه الإبريز ما نصّه: "ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سرّ من الأسرار التي خصّ الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن الكريم معجز وأن رسمه أيضاً معجز (السلجماسي، 1961م، 101).

وذهب جمهور العلماء إلى أن الرسم العثماني ليس توقيفيًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه اصطلاحٌ ارتضاه سيدنا عثمان رضي الله عنه وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به، ولا تجوز مخالفته.

لذلك جعل الأئمة موافقة الرسم العثماني شرطاً لقبول القراءة، فقال شيخ القراء وحجتهم الإمام الجليل ابن الجزري (ابن الجزري، 1950م، 3):

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن رسم المصحف العثماني إنما هو رسمٌ اصطلاحيٌّ لا توقيفيّ، ولا مانع من مخالفته إذا اصطلح الناس على رسم خاص للإملاء وأصبح شائعاً بينهم.

وهذا الرأي رأي ضعيفٌ مردودٌ عند كثير من العلماء؛ وذلك لأن رسم المصحف هو الرسم الاصطلاحي الذي توارثته الأمة منذ زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه، والحفاظ عليه هو ضمان قوي لصيانة القرآن الكريم من التغيير والتبديل في حروفه، ولو أُبيحت كتابة القرآن الكريم بالاصطلاح الإملائي لكل عصر، لأدّى ذلك إلى تغيير خط المصحف من عصر لآخر، ثم إن قواعد الإملاء تختلف فيها وجهات النظر في العصر الواحد، وتتفاوت في بعض الكلمات من بلد لآخر .

ومن خلال ما سبق تبين أن اتباع الرسم العثماني واجب لا تجوز مخالفته، وهو ما ذهب إليه جمهور علماء الأمة، منهم الإمام مالك والإمام أحمد رحمهما الله سبحانه وتعالى، ووافقهم الإمام أبو عمرو الداني والبيهقي والسخاوي وغيرهم، وقد نقل الإمام الجعبري وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني،

وقد سُئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا إلا على الكتبة الأولى (الداني، 1940م، 9).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك (الزركشي، 1957م، 379/1).

وقال البيهقي رحمه الله: من كتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، 8وأعظم أمانة، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم (الزرقاني، د ت، 379/1).

وقال النيسابوري: "وقال جماعة من الأئمة أن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف، فإنه رسم زيد بن ثابت ورضي الله عنه كان أمين رسول الله صلى الله عليه 9وسلم على وحيه" (الزركشي، 256/1).

وإنما كان التزام الرسم العثماني وعدم جواز كتابة القرآن وفق قواعد الإملاء والهجاء الحديثة؛ لأنها عرضةٌ للتغيير والتنقيح في كل عصر، والحيطة لكتاب الله تعالى توجب علينا أن نجعله بعيداً عن هذه التغييرات في رسمه وكتابته ليبقى للقرآن جلاله وللفظه قدسيته واحترامه (الهنداوي، د ت، 24).

ثم إن تغيير الرسم ربما يكون مدعاة من قريب أو من بعيد إلى التغيير في جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية وفي ذلك الفتنة الكبرى والشر المستطير، وسد الذرائع مهما كانت بعيدة أصل من أصول الشريعة الإسلامية التي تبنى عليها الأحكام (القاضي، 1395هـ، 47) (شعبان، 1402هـ، 84).

المطلب الثالث: فوائد ومزايا الرسم العثماني:

للرسم العثماني مزايا وفوائد كثيرة منها (الجمل، 2002م، ص330):

أ. تمييز ما وافق خط المصحف من القراءات مع التواتر وموافقة اللغة فيُقبل، وما خالف الرسم فَيُرَدُّ؛ لأن موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً يعتبر شرطًا من شروط قبول القراءة.

ب. الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان، فإن كان في الكلمة القرآنية قراءتان أو أكثر كُتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو أكثر، ومثال ذلك قوله تعالى: [وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمـن إناثًا] (الزخرف:19) ،فقد قُرِأَت بقراءات متواترة (عند الرحمن)(القاضي، 1981م، 288)،

وقرأت (عباد الرحمن) (القاضي، 1981، 288)، والرسم فيها يحتمل القراءتين، أما إن كان الرسم الواحد لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات؛ فجاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل، وذلك نحو قوله تعالى:{اهدنا الصراط المستقيم} [الفاتحة:6]، فكلمة السراط مرسومة بالصاد والأصل فيها السين، وهي تقرأ بالسين والصاد وإشمام الصاد زايًا (القاضي، 15).

ج. الدلالة على معنى خفيّ دقيق، وذلك كزيادة الياء في كتابة كلمة (أيد) في قوله تعالى (والسماء بنينـها بأييد) (وإنا لموسعون}[الذايات:47] فكتبت بياءين، هكذا {بأييْد} للإيماء إلى تعظيم قوة الله تعالى التي بنى بها السماء، وأنها لا تشبهها قوة، على حد القاعدة المشهورة: "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى"، وكحذف الواو في الرسم من قوله تعالى:{ويمح الله الباطل} [الشورى:24] للإيماء إلى سرعة ذهاب الباطل واضمحلاله.

د. الدلالة على بعض اللغات الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم، وذلك نحو كتابة كلمة (رحمة) في بعض المواضع بالتاء المفتوحة، نحو قوله تعالى{إن رحمت الله قريب من المحسنين }[الأعراف:56] وذلك للدلالة على لغة طيء.

هـ. الدلالة على أصل الحركة، ككتابة الكسرة ياء في قوله تعالى {وإيتاءى ذي القربى} [النحل90 :] للدلالة على أصل الحرف، نحو كتابة (الصلاة والزكاة) بالواو، هكذا {الصلوة، الزكوة} ليُفهم أن الألف فيها منقلبة عن واو.

و. حمل الناس على تلقي القرآن الكريم من أفواه القراء المتقنين وعدم الاتكال على الرسم، فقد جاء نطق بعض الكلمات مخالف لرسمها، وذلك ليتصل السند في القراءة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وليضبط أداء الألفاظ التي لا يمكن ضبط أدائها من خلال رسم المصحف، كالروم والإشمام والتسهيل والإمالة وغير ذلك.

المطلب الرابع: التحسينات التي طرأت على الرسم العثماني

من المعلوم أن المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه ووزعها على الأقطار الإسلامية كانت خالية من النَّقط والشَّكل، وكان الاعتماد في قراءتها على عنصرين:

الأول: السليقة العربية الأصيلة التي كانوا يتمتعون بها، فهم لا يحتاجون لقراءة القرآن إلى الشَّكل بالحركات.

الثاني: السماع حيث كانوا يتعلمون القرآن الكريم بالتلقي والمشافهة.

ولما تطرق اللحن إلى اللسان العربي نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من أصحاب البلاد التي فتحها المسلمون، خاف ولاة أمر المسلمين أن يتطرق اللحن إلى القرآن الكريم إذا بقيت المصاحف غير مشكولة ولا منقوطة، فأحدث العلماء أشكالاً تساعد على القراءة الصحيحة، وكان الشَّكل في الصدر الأول نَقطاً، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضمة على آخره، والكسرة تحت أوله، حتى إذا كانت نهاية القرن الهجري الثاني بلغ الرسم ذروته من الجودة والحسن، وأصبح الناس يتنافسون في اختيار الخطوط الجميلة، وابتكار العلامات المميزة، فكان الخليل بن أحمد هو أول من وضع الهمزة والتشديد، وشَكَّلَ الكلمات بالحركات بدلاً من النقط، فالفتحة شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسرة كذلك تحته، والضمة واو صغيرة فوقه، والتنوين زيادة مثلها (الزرقاني، 405/1). ثم أخذ التحسين يتدرج في أطوارٍ متلاحقة، ثم وضع الناس أسماء السور، وعدد الآيات، والرموز التي تشير إلى رؤوس الآي، وعلامات الوقف، والتجزئة والتحزيب، إلى غير ذلك من وجوه التحسين، وقد وصلت العناية بتحسين رسم المصحف اليوم ذروتها، حيث صدرت طبعات جديدة للقرآن الكريم على غاية من الدقة والأناقة، كالمصحف الذي طبع في مجمع الملك فهد بالسعودية، وقد طبعت بعض المصاحف ملونة للدلالة على الأحكام التجويدية المختلفة، لتسهل على القارئ قراءة القرآن الكريم بأحكام التجويد.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية وتشتمل على دراسة بعض الكلمات القرآنية لبيان أثر اختلاف القراءات القرآنية في تحديد كيفية رسمها

المطلب الأول: أثر الرسم العثماني في ضبط القراءات

من خلال ما سبق نجد أن المصاحف العثمانية التي وزعها سيدنا عثمان رضي الله عنه في الأمصار كانت مشتملة على القراءات المشروعة بمجموعها، فقد تغيب قراءة ما عن رسم أحد المصاحف العثمانية، ولكنها تظهر جزماً في نسخة أخرى، وقد يقصر رسم أحد المصاحف عن التعبير بالوجوه المشروعة في القراءة ولكن يجيء رسم مصحف آخر بالتعبير عما لم يرد في سالفه.

فالخلاف الفرشي المذكور كله يحتمله رسم واحد إلا المواضع التسعة والأربعين فإنه لا يحتملها رسم واحد ولا بد من تعدد الرسم في النسخ ليتم استيعاب الوجوه المشروعة.

فنجد مثلاً أن وجوه القراءة الأربعة تؤخذ من رسم عثماني واحد في مثل الموضع التالي: (قبل النقط والتشكل).

وإليه (يرجعون) يُرجَعون ـ يَرْجِعون ـ تَرجِعون تُرجَعون

يوم القيامة (يفصل) بينكم: يُفْصَل يُفَصَّل ـ يَفْصِل ـ يُفَصِّل

فإذا هم (يخصمون) يَخْصِّمُون يَخَصِّمون يَخِصِّمون يَخْصِمُون

بينما لا يمكن تحصيل الوجوه الآتية إلا من رسمين اثنين:

{جنات تجري من تحتها الأنهار} وهي قراءة ابن كثير

{جنات تجري تحتها الأنهار}: وهي قراءة الباقين

{الذين اتخذوا مسجداً ضراراً} وهي قراءة نافع وأبي عامر وجعفر.

{والذين اتخذوا مسجداً ضراراً}: وهي قراءة الباقين.

ويجب التنويه هنا أن التخالف الذي وقع بين المصاحف إنما وقع في تسعة وأربعين موضعاً فقط، وهي المواضع التي قمنا بإحصائها في دراسة واستقصاء خاصة باختلاف مصاحف الأمصار، وأردنا من خلال ذلك التأكيد على أن هذا التخالف لم ينشأ من غفلة النساخ أو ذهول عنهم، بل هو تخالف مقصود أراد به سيدنا عثمان رضي الله عنه استيعاب سائر القراءات المتواترة التي أذن بها النبي صلى الله عليه وسلم وتلقاها جمهور الصحابة عنهم بالتواتر.

ولكن يرد ثمة سؤال آخر: هل ابتليت الأمة بضياع هذه المواضع التسعة والأربعين بين عهد أبي بكر وعثمان حيث كانت الكتبة الأولى لا تؤدي هذه القراءات؟

والجواب على هذا الإشكال من وجهين:

الأول: إن كَتْبَة الصديق وإن لم نجزم بأنها مشتملة على الوجوه المذكورة لكن ذلك لم يؤثر على مبدأ إقرار الإقراء بها لسببين. السبب الأول: إن نسخة الصديق رضي الله عنه لم تكن متاحة لكل أحد، بل كانت وثيقة محفوظة مدخرة لما يأتي من الأيام حين يخشى أن تتفرق الأمة وقد جاء ذلك اليوم الموعود حين شرع عثمان رضي

الله عنه بكتابة مصاحف الأمصار، والسبب الثاني: أن الوثيقة الثانية المشتملة على الرسم الآخر للمصحف كانت موجودة أيضاً لدى مجموعة أبي بكر الصديق التي انتقلت منه إلى عمر ثم إلى حفصة، حيث كان الصديق رضي الله عنه يجمع الوثائق التي كتبها الأصحاب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي بلا ريب تتضمن سائر قراءاته(التي لا تخرج هذه القراءات المتواترة عنها.

ذلك أن الصديق رضي الله عنه يوم دعا الناس إلى جمع ما بأيديهم من الصحف اجتمع عنده قرآن كثير، فربما اجتمع من سورة الكهف أو سورة يس مثلاً مئات النسخ، ومثلها السور التي كان الأصحاب يشتغلون بحفظها، وقراءتها كسورة يس والدخان والسجدة وغيرها من قصار السور، وربما اجتمع عنده من البقرة وآل عمران عشرات النسخ، ولا توجد آية في القرآن إلا اجتمع عند أبي بكر منها نسخ كثيرة، بل قد صرح الأصحاب أنه لم تعز عليهم إلا آية واحدة لم يجدوا منها إلا نسخة واحدة وهي آخر سورة التوبة، وقد أتينا على تفصيل ذلك نقلاً عن البخاري قبل قليل.

وهكذا فإن الروايات تظاهرت على التأكيد بوجود أكثر من وثيقة مكتوبة لكل آية من آي القرآن الكريم، بحسب ما كان يتلقى الأصحاب من النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذه الوثائق بمجموعها مشتملة على القراءات المتواترة التي قرأ بها المعصوم – صلى الله عليه وسلم –.

الثاني: أن المتفق عليه لدى الأمة بمجموعها أن القرآن إنما يؤخذ بالتلقي والمشافهة، وأن الوثيقة المكتوبة ليست مرجعاً نهائياً لرواية القرآن، بل هي محض آلة مساعدة، وأن العمدة في القراءة والإقراء على النص المتلقَّى بالتواتر، وهذا كان يشمل سائر الوجوه المذكورة، وكان يتأيد بما بين يدي الصحابة من صحف كتبوها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فيها أيضاً تلك الوجوه.

وهكذا فإن علاقة تناوبية نشأت بين الرسم العثماني والقراءات المتواترة فقد خدم كل منهما الآخر، وتآزرا في ضبط الأداء القرآني.

ويمكن أن نستنتج مما قدمناه في هذا الفصل أن سائر القراءات المشروعة كانت حاضرة في ذاكرة الحفاظ التي كانت تتلقى بأعلى درج التواتر وكانت حاضرة في الوثيقة الكتابية في جمع أبي بكر وصحف الصحابة من حوله، ثم في نسخ عثمان (بمجموعها) كما وزعها في الأمصار.

المطلب الثاني: أمثلة ودراسة بعض الكلمات القرآنية لبيان أثر اختلاف القراءات القرآنية في تحديد كيفية رسمها

أ. لفظ [إبراهيم]: ورد لفظ {إبراهيم} في سورة البقرة خمسة عشر مرة، وكلها رسمت بحذف الياء (إبراهم) في المصاحف العراقية والشامية، وهي في المصحف المتداول بيننا بحذف الياء هكذا (إبراهم)، ووجه حذف الياء احتمال القراءتين، أي: قراءة من يقرؤها بياء بعد الهاء، هكذا {إبراهيم} (الهنداوي، 130)، وهم جمهور القراء، وقراءة من يقرأ {إبراهام} أي بألف بعد الهاء، وهو هشام في روايته عن ابن عامر، واختلف عن ابن ذكوان في هذه المواضع فله وجهان: الأول كهشام والثاني بكسر الهاء وياء بعدها كقراءة الباقين، (القاضي، 1981م، 39-40)، والحذف في مثل هذه الكلمة حذف إشارة، وذلك أن المقصود منه الإشارة إلى قراءة أخرى، و"إبراهيم" علم أعجمي قيل: معناه قبل النقل: أب رحيم، وفيه لغات تسع: أشهرها "إبراهيم "بألف وياء، و"إبراهام" بألفين، و"إبراهِم" بألف بعد الراء وكسر الهاء دون ياء، وكذلك إلا أنه بفتح الهاء، وكذلك إلا أنه بضمها، و"إبرهم" بفتح الهاء من غير ألف وياء، و"إبراهوم" (السمين الحلبي، 1994م، 359).

ب. لفظ (بسطة) ورد لفظ (بسطة) في موضعين: الأول: في قوله تعالى: {قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم} [البقرة 247]. ,الثاني: في قوله تعالى: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة} [الأعراف:69]. وبالنظر إلى الموضعين نلاحظ أن رسم الكلمتين في المصحف مختلف، فالموضع الأول رسم بالسين، أما الموضع الثاني فرسم بالصاد، وذلك أن الموضع الأول اتفق القراء على قراءته بالسين، وهو الأصل في الكلمة، أما الموضع الثاني فاختلف القراء في قراءته فقرأه نافع والبزي وابن ذكوان وشعبة والكسائي وخلاد بخلف عنه بالصاد، وقرأه قنبل وأبو عمرو وهشام وحفص، وخلف وخلاد في وجهه الثاني بالسين، (القاضي، 50)، وهما لغتان فيها، والقراءة بالسين على الأصل، وبالصاد لمجانسة الصاد للطاء التي بعدها وذلك باشتراكهما في صفات: "الاستعلاء والإطباق، والإصمات (مكي بن أبي طالب، 1981، 302/1) (محيسن، 1988م، 260/1)، "وقد رسم الموضع الذي فيه الخلاف وهو الثاني بالصاد على غير الأصل ليحتمل القراءة بالسين وهو الأصل، ورسم الموضع الأول بالسين على الأصل لعدم الخلاف في قراءته.

ج. لفظ [طيراً] ورد حذف الألف من لفظ {طيراً} في قوله تعالى{فيكون طيراً بإذن الله}[آل عمران:49] وفي قوله تعالى{فتكون طيراً بإذني}[المائدة:110] وحذف الألف فيهما حذف إشارة، وذلك أن الإمام نافع يقرأ هذين الموضعين بألف بعد الطاء وبعد، أجراه على التوحيد أي "فأنفخ في الواحد منها فيكون

طائراً، هكذا [طائراً] (القاضي، 62)، وقراءته موافقة لرسم المصحف تقديراً، أي على تقدير أن الألف في قراءته محذوفة، وهي موافقة لرسم المصحف تحقيقاً، وذلك أن رسم الكلمة دون غيره {طيراً} على معنى الجمع (مكي بن أبي طالب، 345/1)، أما قراءتها بهمزة بعد الألف على قراءة نافع وبياء على قراءة غيره فهي موافقة لرسم المصحف تحقيقاً، على أن المصحف العثماني لم تكن الهمزة فيه موجودة ولم يكن منقوطاً، فرسم الكلمة هكذا{طيراً}، فهو محتمل أن تكون الياء غير المنقوطة صورة الهمزة أو ياء.

د. لفظ (كبائر) ورد هذا اللفظ في ثلاثة مواضع، الأول: في قوله تعالى{إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً} [النساء:31]. الثاني: في قوله تعالى{والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون} [الشورى:37].إلا اللمم}[النجم:32]، الثالث: في قوله تعالى(الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش) وقد رسم في موضعي الشورى والنجم وهما الثاني والثالث بدون ألف بعد الباء، أما موضع سورة النساء وهو الموضع الأول فرسم بألف بعد الباء، وذلك أن القراء مختلفون في موضعي الشورى والنجم دون موضع سورة النساء، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الباء بعدها ياء ساكنة على التوحيد على وزن فعيل، هكذا {كَبِير}،(النسفي، 1989م، 109/4) على أن "فعيل" يقع بمعنى الجمع، وقرأ باقي القراء العشرة بفتح الباء وألف بعدها وهمزة مكسورة بعد الألف على الجمع، على أن الله تعالى ضمن غفران السيئات الصغائر باجتناب الكبائر، إذ ليس هكذا (كَبائِر)(ابن الجزري، 367/2-368) اجتناب كبيرة واحدة تغفر الصغائر، وأيضاً فإن بعده "الفواحش" بالجمع، فوجب أن تكون الكبائر بالجمع، ليتفق الشرطان واللفظان، وقد جاء الرسم بحذف الألف ليحتمل القراءتين (مكي، 253/2).

هـ. لفظ {ساحر}، ورد لفظ {ساحر} في أربعة مواضع :- الأول: في قوله تعالى{فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين}[المائدة:110]. الثاني: في قوله تعالى(قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) الثالث: في قوله تعالى {ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين}[هود:7].الرابع: في قوله تعالى{قالوا هذا سحر مبين}[الصف:6].ووجه حذف الألف من هذه المواضع احتمال القراءتين، وذلك أن حمزة والكسائي وخلف يقرأون هذه المواضع بألف بعد السين، هكذا{ساحر}، وافقهم ابن كثير وعاصم في موضع يونس 28الأول، وقرأ الباقون هذه المواضع بدون ألف، هكذا (سحر) (القاضي، 28-142-152-319)، فمن قرأ بغير ألف في هذه المواضع فقراءته موافقة لرسم بعض المصاحف تحقيقاً وبعضها تقديراً، وكذا قراءة من قرأ بالألف.

و. لفظ (عبادنا) ورد لفظ {عبادنا} في مواضع كثيرة في كتاب الله تعالى، وكان رسمها في المواضع جميعها بإثبات ألف بعد الباء، هكذا {عبادنا}، نحو قوله تعالى{نهدي به من نشاء من عبادنا}[الشورى:53،] ولم يستثن من ذلك سوى موضع سورة ص وهو قوله تعالى: {واذكر عبدنا إبراهيم]، فقد جاء رسمه بحذف الألف، هكذا{عبدنا}، وذلك أن هذا اللفظ مختلف في قراءته بين القراء العشرة على النحو التالي :قرأ ابن كثير المكي بفتح العين وسكون الباء بدون ألف بعدها، هكذا{عبدنا} على التوحيد، يريد إبراهيم وحده، إجلالاً له وتعظيماً، وجعل ما بعده، وهو "إبراهيم" بدلاً منه، وعطف على البدل ما بعده،(النسفي، 44/4)، وقرأ باقي القراء العشرة بكسر العين وفتح الباء وألف بعدها، هكذا {عِبادنا} على الجمع (ابن الجزري، 171)، جعلوا ما بعده من الأسماء الثلاثة بدل منه (ابن الجوزي، 1956م، 146/7).

ز. ويلاحظ أنه رسم في هذا الموضع بلا ألف ليحتمل قراءة الإفراد وقراءة الجمع .

ح. لفظ (سلاسلا) رسم لفظ {سلاسلا} [الإنسان:4] بالألف في جميع المصاحف (الداني، 39)، وقد اختلف القراء في قراءتها: فقد قرأها المدنيان وهشام وشعبة عن عاصم والكسائي بالتنوين وصلاً، هكذا{سلاسلاً}، ويبدل التنوين ألف وقفاً، وذلك أن من العرب من يصرف جميع ما لا ينصرف، وهو لغة الشعراء؛ لأنهم اضروا إليه في الشعر فصرفوه فجرت على ألسنتهم كذلك(القرطبي، 123/19). وقرأ الباقون بحذف التنوين وصلاً، وهم مختلفون في الوقف، فوقف عليها أبو عمرو وروح عن يعقوب بالألف، وحمزة وقنبل عن ابن كثير ورويس عن يعقوب وخلف من غير ألف مع إسكان اللام، ولحفص عن عاصم والبزي عن ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر وجهان وقفاً :

ط. الأول بالألف والثاني بحذف الألف. وإنما رسمت هذه الكلمة بالألف لتحتمل كل القراءات الواردة فيها، إذ لو رسمت بدون ألف لما احتملت قراءة من قرأ بالتنوين. وكذا الأمر في كلمتي {قواريرا * قواريرا} [الإنسان:15، 16

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأن وفقنا لإتمام هذا البحث، وأسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم، وفي الختام هذه بعض النتائج والتوصيات:

أ. للقراءات أثر كبير في العلوم المختلفة وخاصة علم الرسم.

ب. ظهر من خلال البحث العلاقة الكبيرة بين القراءات القرآنية وعلم الرسم.

ج. القراءات القرآنية لها أثر واضح في رسم الكلمة القرآنية، فقد راعى الصحابة الكرام رسم الكلمة لتحتمل القراءات الواردة في اللفظة.

د. .رسم المصحف الشريف بهذه الطريقة البديعة يشي بفضل الصحابة الكرام، واهتمامهم بكتاب الله تعالى.

هـ. الموضوعات التي لها صلة بالقراءات القرآنية كثيرة، والحاجة ماسة إلى إثراء المكتبة القرآنية ببحوث تعنى بإظهار صلة علم القراءات بالعلوم الأخرى.

و. علم الرسم بحاجة إلى سبر غوره والكشف عن كثير من أسراره، والوقوف على الحكم من كتابة بعض ألفاظ القرآن الكريم بطريقة تختلف عن الرسم القياسي.

المراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م)

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمد تميم الزعبي، ط2 (المدينة المنورة: مكتبة نور الهدى، 1414هـ/1994م)

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، د.ط، (د.م: مكتبة ابن تيمية، 1351هـ)

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/1999م)

ابن الجزري، شهاب الدين محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: أنس مهرة، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/2001م)

ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)

ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، ط1 (الأردن: دار الفرقان، 1421هـ/2002م)

ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها، تحقيق: على النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط1 (القاهرة: وزارة الأوقاف، 1415هـ/1994م)

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، د.ط (القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت)

ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط4 (بيروت: دار الشروق، 1401هـ)

ابن زنجلة، أبي زرعة عبد الرحمن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط5 (بيروت: دار الرسالة، 1422هـ/2004م)

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، ط1 (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1420هـ/2000م)

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، تحقيق: طه بن علي بو سيريح التونسي، ط1 (مصر: دار السلام، 1427هـ/2006م)

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، د.ط (د.م: دار الفكر، 1415هـ/1995م)

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1996م)

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1 (الرياض: دار الوطن للنشر، 1419هـ/1998م)

الأصبهاني، أبوبكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، د.ط (دمشق: مجمع اللغة العربية، 1981م)

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القريشي الطليحي التميمي أبو القاسم الملقب بقوام السنة، سير السلف الصالح، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، د.ط (الرياض: دار الراية للنشر، د.ت)

الأصبهاني، الحافظ أبو بكر بن أحمد بن الحسين بن مهران، الغاية في القراءات العشر، تحقيق: محمد غياث الجنباز، ط1 (الرياض: دار الشواق، 1405هـ/1985م)

البنّا، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، ط1 (بيروت: دار عالم الكتب، 1407هـ/1987م)

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط2 (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ/1975م)

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام ابن عاشور، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1422هـ/2002م)

الحربي، عبد العزيز بن علي بن علي، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرًا وإعرابًا، تحقيق: محمد سيدي الحبيب، د.ط، (السعودية: جامعة أم القرى، 1417هـ)

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، ط2 (بيروت: دار صادر، 1995م)

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1993م)

خاروف، محمد فهد، الميسر في القراءات الأربع عشرة، تحقيق: محمد كريم راجع، ط1 (بيروت: دار الكلم الطيب، 1420هـ/2000م)

الخطيب البغدادي، أبوبكر بن أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ)

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م)

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تذكرة الحفاظ، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م)

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط3 (بيروت: دار الرسالة، 1405هـ/1985م)

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 (دمشق: دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ/1957م)

الزركلي، خير الدين بن محمد بن محمد بن فارس الدمشقي، الأعلام، ط15 (د.م: دار العلم للملايين، 2002م)

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، الكشّاف عن حقائق وغوامض التفسير، ط3 (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ)

السخاوي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: مركز الدراسات الإسلامية، د.ط (المدينة المنورة: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1434هـ)

الضباع، إياد خالد، محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، د.ط (دمشق: دار القلم، د.ت)